أنواع الناس في القرآن الكريم
باعتبار الصلاح والفساد

د٠ عبدالمحسن بن زبن المطبري (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فلا يزال كتاب الله تعالى يجيش لنا بالفوائد والعبر، لا سيما في معرفة أحوال الناس وكيفية التعامل معهم، وسنن الله في الدول والشعوب، وأدق مخابرهم ونفسياتهم.

ولا شك أن الصلاح هو الغاية المطلوبة من العباد في الاعتقاد والأقوال والأعمال (..إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ..)[هود: ٨٨]؛ فبغير الصلاح لا يُقبَل أي عمل ولا تحصل أي قربى، ولا توضع البركة في الأموال والأنفس والثمرات – كما سيأتي بيانه –.

وإن من الأمور العظيمة أن يكون الإنسان صالحاً في قوله وعمله، ولكن الأعظم من ذلك أن يكون مُصلحاً في أثره ونفعه؛ فالصالح قد اكتفى بنفسه عن الخلق، وأما المصلح فقد حمل هموم الخلق وتصدى لإصلاحهم.

والصلاح يُستجلَب به الخير والبركة والنماء، أما الإصلاح فيدفع الله به عن البشر الشرَّ والهلاكَ، كما سيتبين هذا في البحث.

(*) الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

وقد حاولت أن أبحث في كلام الله تعالى عن أحوال الناس باعتبار صلاحهم وفسادهم، حيث ذكر الله تعالى الصلاح بمشتقاته أكثر من مائة وثمانين مرة، ووجدت في ذلك عجبا، فالقرآن الكريم يقسم الناس إلى أقسام أربعة، ظاهرة المعالم واضحة الرسوم.

فأردت في هذا البحث جمع الآيات التي تبين هذه القسمة الرباعية.

مشكلة البحث:

ما هي أقسام الناس باعتبار الصلاح والفساد في القرآن الكريم، وما هي صفاتهم، وما هو فضلهم في مقام الصلاح، أو ذمهم في مقام الفساد.

أهمية البحث:

١-يسلط البحث الضوء على أقسام الناس في القرآن الكريم وفضل أو خطورة كل واحد منها.

٢-يستحث المسلم على التمثل بأحوال أهل الفضل والحذر من أحوال أهل الشر.

٣-يعرف به المسلم حاله، وفي أي منزلة هو، فإن كان في خير ازداد، وإن كان في شر قصر.

٤-بيان وجه من أوجه أعجاز القرآن الاجتماعي، في توصيف الناس وأحوالهم.

منهج البحث :

١-وضعت الإحالة على مكان الآيات في المصحف بعد ذكر الآية مباشرة.

٢-وخرجت الأحاديث ، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في غيرهما خرجته من الكتب التسعة وبينت صحته.

٣-كل نقل عن غيري أضعه بين قوسين، وأحلت في الحاشية على موضعه.

وقد جاءت **خطة البحث** على النحو التالي:

* المقدمة
* التمهيد

* المبحث الأول: الصالح
* المبحث الثاني: المصلح
* المبحث الثالث: الفاسد (الفاسق)
* المبحث الرابع: المفسد
* الخاتمة

ثم ذيلت البحث ببعض الفهارس المساعدة.

ولست هنا في معرض الحديث عن الإصلاح في القرآن ومعالمه فقد كتبت فيها رسائل، والحديث عن إصلاح الأنبياء في الدين والدينا يستحق أن يفرد في أبحاث ورسائل أيضا، وفيه كتابات جيدة، وإنما هدفي هو بيان أنواع الناس في الصلاح والفساد، وصفاتهم، وفضلهم في مقام الصلاح وخطرهم في مقام الفساد، وهي مسألة في ظني أنه لم يتم إبرازاها بما تستحق في البحوث التي قرأتها.

وقد حرصت أن أرجع إلى المصحف أولا للاستفادة المباشرة من الآيات، حتى يتضح فيها رأي الباحث أكثر، ثم نظرت في كلام العلماء لتوثيق فهمي أو تصحيحه.

وأسأل الله أن ينفعنا بالقرآن العظيم ويجعلنا ممن يتدبره حق التدبر.

التمهيد

المطلب الأول: مفهوم الصلاح والإصلاح:

الصلاح ضد الفساد، وهو مصطلح واسع يشمل كل ما فيه خير.

قال ابن فارس في معجم (مقاييس اللغة) : ((صلح) الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال: صلح الشيء يصلح صلاحا. ويقال: صلح بفتح اللام. وحكى ابن السكيت صلَح وصلُح. ويقال: صلح صلوحا، قال:

وكيف بأطرافي إذا ما شتمتني ... وما بعد شتم الوالدين صلوح))[1].

(صلَحَ: الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ صلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً؛وَهُوَ صَالِحٌ وصَلِيحٌ، الأَخيرة عَنِ ابْنِ الأَعرابي، وَالْجَمْعُ صُلَحاءُ وصُلُوحٌ؛ وصلُح: كصلَح، وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْمٍ صُلَحاء ومُصْلِح فِي أَعماله وأُموره، وَقَدْ أَصْلَحه اللَّهُ، وَرُبَّمَا كَنَوْا بِالصَّالِحِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ إِلى الْكَثْرَةِ كَقَوْلِ يَعْقُوبَ: مَغَرَتْ فِي الأَرض مَغْرَةٌ مِنْ مَطَرٍ؛ وَهِيَ مَطَرَةٌ صالحة، وكقول بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ، كأَنه ابْنُ جِنِّيٍّ: أُبدلت الْيَاءُ مِنَ الْوَاوِ إِبدالًا صَالِحًا. وَهَذَا الشَّيْءُ يَصْلُح لَكَ أَي هُوَ مِنْ بابَتِك. والإِصلاح: نَقِيضُ الإِفساد. والمَصْلَحة: الصَّلاحُ. والمَصلَحة وَاحِدَةُ الْمَصَالِحِ. والاسْتِصْلاح: نَقِيضُ الِاسْتِفْسَاد. وأَصْلَح الشيءَ بَعْدَ فَسَادِه: أَقامه. وأَصْلَحَ الدَّابَّةَ: أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ. وَفِي التَّهْذِيب: تَقُولُ أَصْلَحْتُ إِلى الدَّابَّةِ إِذا أَحسنت إِليها. والصُّلْحُ: تَصالُح الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ. والصُّلْحُ: السِّلْم. وَقَدِ اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا، مُشَدَّدَةَ الصَّاد، قَلَبُوا التَّاءَ صَادًا وأَدغموها فِي الصَّادِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقَوْمٌ صُلُوح: مُتصالِحُون، كأَنهم وَصَفُوا بِالْمَصْدَرِ. والصِّلاحُ، بِكَسْرِ الصَّادِ: مَصْدَرُ المُصالَحةِ، وَالْعَرَبُ تُؤَنِّثُهَا،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٣٠٣/٣)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

وَالِاسْمُ الصُّلح، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. وأَصْلَح مَا بَيْنَهُمْ وصالَحهم مُصالَحة وصِلاحاً؛ قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبي خَازِمٍ:

يَسُومُونَ الصِّلاحَ بذاتِ كَهْفٍ ... وَمَا فِيهَا لهمْ سَلَعٌ وقارُ

وَقَوْلُهُ: وَمَا فِيهَا، أَي وَمَا فِي المُصالَحة، وَلِذَلِكَ أَنَّث الصِّلاح.

وَقَدْ سمَّت العربُ صَالِحًا ومُصْلِحاً وصُلَيحاً. والصُّلْحُ: نَهْرٌ بمَيْسانَ)[1].

وقيل: (الْإِصْلَاح يكون فِي القضايا المعنوية الْمُتَعَلّقَة بِالنَّفسِ وَالْإِنْسَان وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {وَإِن تصلحوا وتتقوا فَإِن الله كَانَ غَفُورًا رحِيما}، والإصلاح خلاف الْفساد، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {الَّذين يفسدون فِي الأَرْض وَلَا يصلحون}، وَمِنْه: إصْلَاح ذَات الْبَين)[2].

والصلاح يوصف به العامل: كقوله سبحانه: (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)[الأنبياء: ٧٥].

ويوصف به العمل: كقوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[فاطر:١٠] وقال سبحانه:(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[التوبة: ١٢٠].

والصلاح في النفس، والإصلاح في الآخرين كما قال تعالى: ﴿.. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]،

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥١٧/٢)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، (ص: ٢٧١)، تحقيق عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

وكقوله سبحانه: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[هود: ٨٨].

المطلب الثاني: مفهوم الفساد والإفساد:

((فسد) الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا، وهو فاسد وفسيد)[1].

(فسد: الفسادُ: نَقِيضُ الصَّلَاحِ، فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً، فَهُوَ فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهِمَا، وأَفْسَدْتُه أَنا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً)؛ نَصَبَ فَسَادًا لأَنه مَفْعُولٌ لَهُ أَراد يَسْعَوْن فِي الأَرض لِلْفَسَادِ. وأَفْسَدَه هُوَ واسْتَفْسَد فُلَانٌ إِلى فُلَانٍ. وتَفَاسَدَ القومُ: تدابَرُوا وقَطَّعُوا الأَرحام.

والمَفْسَدَةُ: خِلَافُ المصْلَحة. والاستفسادُ: خِلَافُ الِاسْتِصْلَاحِ. وَقَالُوا: هَذَا الأَمر مَفْسَدَةٌ لِكَذَا أَي فِيهِ فَسَادٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ للعَقْلِ، أَيُّ مَفْسَدَهْ

وَفِي الْخَبَرِ:

أَن عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَشرف عَلَى أَصحابه وَهُمْ يَذْكُرُونَ سِيرَةَ عُمَرَ فَغَاظَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِيهاً عَنْ ذِكْرِ عُمَرَ فإِنه إِزْراءٌ عَلَى الوُلاةِ مَفْسَدَةٌ لِلرَّعِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[الروم: ٤١]؛ الْفَسَادُ هُنَا: الجَدْب فِي الْبرِّ وَالْقَحْطُ فِي الْبَحْرِ أَي فِي المُدُن الَّتِي عَلَى الأَنهار؛ هَذَا قَوْلُ الزجاجِيِّ. وَيُقَالُ: أَفْسَدَ فُلَانٌ المالَ يُفْسِدُه إِفْساداً وفَساداً، وَاللَّهُ لا يحب الْفَسَادَ. وفَسَّدَ الشيءَ إِذا أَبَارَه؛ وَقَالَ ابْنُ جُنْدُب:

وقلتُ لَهُمْ: قَدْ أَدْرَكَتْكُمْ كَتِيبَةٌ ... مُفَسِّدَةُ الأَدْبارِ، مَا لَمْ تُخَفَّرِ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٣/٤).

أَي إِذا شَدَّت عَلَى قَوْمٍ قَطَعَتْ أَدبارَهم مَا لَمْ تُخَفَّرِ الأَدبارُ أَي لَمْ تُمْنَعْ. وَفِي الْحَدِيثِ:

كُرِهَ عَشْرُ خِلال مِنْهَا إِفسادُ الصَّبِيِّ غيرَ مُحَرِّمِه؛ هُوَ أَن يَطأَ المرأَة الْمُرْضِعَ فإِذا حَمَلَتْ فَسَدَ لَبَنُهَا وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ فَسَادُ الصَّبِيِّ وَتُسَمَّى الغِيلَة؛ وَقَوْلُهُ: غَيْرَ مُحَرِّمِه، أَي أَنه كَرِهَهُ وَلَمْ يَبْلُغْ بِهِ حَدَّ التحريم)[1].

فالفساد ضد الصلاح والإفساد ضد الإصلاح، والفساد كذلك في النفس، والإفساد في الآخرين.

(١) لسان العرب، (٣/٣٣٦).

المبحث الأول

الصالح

النوع الأول الذي يبرزه القرآن الكريم في هذا الباب هو الرجل الصالح، الذي استقام على أمر الله تعالى وحرص على طاعته وتجنب معصيته، وبذل وقته لإصلاح نفسه.

المطلب الأول: فضل الصالحين:

١. **الصلاح هو غاية العابدين:**

قال سبحانه عن من أسلم من النصارى: (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ)[المائدة: ٨٤]، فقالوا (نطمع) للدلالة على عظيم أملهم به.

٢. **دعوة المرسلين:**

قال سبحانه عن سليمان بن داود عليهما السلام: (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)[النمل: ١٩] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)[الصافات: ١٠٠-١٠١].

٣. **أمنية الميتين:**

قال جل جلاله: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون: ١٠].

٤- الصلاح اصطفاء واجتباء واختيار:

قال تعالى: (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)[القلم: ٥٠]، ({فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ} أي: اختاره واصطفاه ونقّاه من كل كدر،{فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم وأحوالهم)[١].

٥- الصلاح هو وصف أكرم الخلق عند الله:

وهم أنبياؤه: فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[البقرة:١٣٠] ، وقال عن يحيى عليه السلام (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)[آل عمران: ٣٩] ، وقال عن عيسى عليه السلام: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ)[آل عمران:٤٦]، وقال تعالى عن لوط عليه السلام: (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)[الأنبياء: ٧٤-٧٥]، وقال سبحانه (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)[الأبيناء: ٨٥-٨٦]، وقال سبحانه: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)[الأنعام: ٨٥].

٦- تولي الله تعالى للصالح في جميع أموره:

قال تعالى عن نبيه ﷺ : (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف: ١٩٦]، ((إن وليي الله) أى ناصري عليكم الله (الذي نزل الكتاب) الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم)[٢].

---

(١) تفسير الشيخ السعدي (ص: ٥٦٦)، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، ط١، ٢٠٠٠م.

(٢) الكشاف للزمخشري (١٨٩/٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ه.

٧- هم أحق الناس في وراثة الأرض في الدنيا والجنة في الآخرة:

قال سبحانه: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[الأنبياء: ١٠٥]، (وفي الأرض المذكورة ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السّائب)[(١)].

٨- الصالحون هم أعلى الناس عند الله تعالى:

قال تعالى: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ)[الأعراف: ١٦٨]، (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا)[الجن:١١] فالصالحون هم الأعلون ثم الناس دون ذلك.

٩- لا يرفع الله إلا العمل الصالح:

قال سبحانه (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ..) على القول برجوع الضمير في (يرفعه) إلى لفظ الجلالة فيكون المعنى أن الله تعالى يرفع العمل الصالح، قال ابن الجوزي: (وفي هاء الكناية في قوله تعالى: يَرْفَعُهُ، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إِلى الكَلِم الطَّيِّب فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكَلِم الطَّيِّب، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. وكان الحسن يقول: يُعْرَض القولُ على الفعل، فإن وافق القولَ الفعلُ قُبِل، وإِن خالف رُدَّ. والثاني: أنها ترجع إِلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح يرفعُه الكَلِم الطَّيِّب، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشهر بن حوشب.

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٢١٧/٣)، تحقيق عبدالزراق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

فاذا قلنا: إن الكَلِم الطَّيِّب هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول أنه لا يُقْبَلُ عملٌ صالح إلّا من موحّد، والثالث: أنها ترجع إلى الله عزّ وجلّ، فالمعنى: والعمل الصالح يرفعُه اللهُ إليه، أي: يَقْبَلُه. قاله قتادة)[1].

وعلى القول برجوع الضمير إلى (الكلم الطيب) يصبح المعنى أن الكلم الطيب لا يرتفع إلا بعمل صالح يصدقه، (قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب. وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسدي، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وغير واحد [من السلف] .

وقال إياس بن معاوية القاضي: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام.

وقال الحسن، وقتادة: لا يقبل قول إلا بعمل)[2].

ولهذا كله قال ﷺ: قال الله:«أعددت لعبادي **الصالحين** ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)»[3].

المطلب الثاني: أوصاف الصالحين:

١- الصدقة:

قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ)[التوبة:٧٥].

٢-تلاوة آيات الله.

٣-قيام الليل.

٤-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥٠٨/٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣٧/٦)، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٢٤٤.

٥- المسارعة للخيرات: قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)[آل عمران: ١١٣-١١٤].

٦- الإيمان والعمل الصالح: قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)[العنكبوت:٩].

فكل ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه فإنهم يجتهدون في الامتثال له وهو داخل في عموم الإيمان والعمل الصالح.

المبحث الثاني

المصلح

النوع الثاني من الناس الذي يبرزه القرآن في هذا الباب هو المصلح.

والمصلح: هو الصالح في نفسه، المصلح لغيره، فهو وصف زائد على الصلاح، حيث لم يكتفِ بإصلاح نفسه بل حرص على إصلاح غيره، فهو من عظيم نفسه ينقل الخير لغيره.

قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ..)[البقرة: ٢٢٠] فسمى الله تعالى من يسعى لإصلاح اليتيم مصلحا.

وكل فضل للصالح فهو ثابت للمصلح.

المطلب الأول: فضل المصلحين :

١- أنهم ينجون حين يهلك الناس، بل بهم يحفظ الله سبحانه البلاد والعباد، كما قال جل في علاه: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [هود:١١٦-١١٧]؛ (يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض وقوله: {إلا قليلا} أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيره، وفجأة نقمه؛ ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

وأولئك هم المفلحون} [آل عمران: ١٠٤] . وفي الحديث: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب")[١].

(أي لم يكن من شأن ربّك أيها الرسول أن يهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون، ولكن يهلكهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك والتكذيب والمعاصي. وما تضمنته هذه الآية هو بيان لسنة الله تعالى في إهلاك الأمم السابقة ممن قص تعالى أنباءهم في هذه السورة)[٢].

٢-رأس المصلحين هم الأنبياء والمرسلون ، وإنما جاءوا لإصلاح الدين والدنيا، كما قال تعالى (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا **الْإِصْلَاحَ** مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[هود: ٨٨]، فالإصلاح اقتداء وتشبه بخير الخلق.

٣-ومن فضل الإصلاح أن الكل يدعيه حتى المفسد، كما قال سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)[البقرة: ١١-١٢]، فالإصلاح ليس دعوى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)[البقرة: ٢٢٠]. وهكذا في كل عصر يحاول المنافقون اختطاف مفهوم الإصلاح إلى جانبهم، ليلبسوا فيه على الناس دينهم.

المطلب الثاني: أوصاف المصلحين:

المصلحون إصلاحهم ممتد ليشمل الدين والدينا، فأهم أوصاف المصلحين هي :

---

(١) تفسير ابن كثير، (٣٦٠/٤)، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (٥٨٨/٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠٣م.

١- إصلاح عقائد الناس ودينهم وتعبيدهم لربهم: بتحذير الناس من الشرك ودعوتهم للتوحيد كما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ..)[النحل: ٣٦]، فجعل الله تعالى الدعوة إلى عبادته هي مهمة كل رسول، والرسل هم رأس المصلحين وقادتهم.

٢- شدة التمسك بالوحي وأقامة الصلاة: قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) [الأعراف: ١٧٠].

٣- من إصلاح الدنيا تحذيرهم من الفساد في الأرض والتعدي على الأموال والأنفس: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)[الأعراف:٨٥-٨٦]، (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)[محمد:٢٢].

٤- الحرص على الضعفاء: كما قال سبحانه: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة: ٢٢٠] فالمصلحون يسعون لإصلاح الدين والدنيا.

* *

المبحث الثالث

الفاسد (الفاسق)

النوع الثالث الذي يبرزه القرآن الكريم في هذا الباب هو الفاسد أو الفاسق.

الفاسد هو غير الصالح كما قال تعالى لنوح: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[هود: ٤٦].

وقد سمى الله تعالى ترك موالاة المسلمين فسادا: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال:٧٣].

وقطيعة الرحم من أمثلة أعمال الفاسدين: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢].

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: (كان يقال: أن يكون لك عدو صالح خير من أن يكون لك **صديق فاسد**، لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره، والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك)[1].

(كان عمر بن الخطاب يسأل الوفود إذا قدموا عليه من الكوفة: هل تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا، فقدم وفد من أهل الكوفة، فيهم ابن عمه ذاك، فقال: هل تعرفون أويس بن عامر القرني؟ قال ابن عمه: يا أمير المؤمنين، هو ابن عمي، هو **رجل نذل فاسد** لم يبلغ ما إن تعرفه أنت يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: ويلك هلكت، ويلك هلكت، إذا أتيته فأقرئه مني السلام، ومره فليفد إلي. فقدم الكوفة، فلم يضع ثياب سفره عنه حتى أتى المسجد. قال: فرأى أويسا فلم به ، فقال: استغفر لي يا ابن عمي، قال: غفر الله لك يا ابن عم، قال: وأنت يغفر الله لك يا أويس بن عامر، أمير المؤمنين يقرئك السلام. قال:

---

(١) حلية الأولياء للأصبهاني (٢٨١/٧)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

ومن ذكرني لأمير المؤمنين؟ قال: هو ذكرك وأمرنا أن نبلغك أن تفد إليه. قال: سمع وطاعة لأمير المؤمنين، فوفد إليه، حتى دخل على عمر، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: أنت الذي خرج بك وضح فدعوت الله أن يذهبه عنك فأذهبه؟ فقلت: اللهم دع لي في جسدي منه ما أذكر به نعمتك علي. فترك لك في جسدك ما تذكر به نعمه عليك. قال: وما أدراك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما اطلع على هذا بشر، قال: أخبرنا رسول الله ﷺ: " أنه سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهبه عنه، فيذهبه، فيقول: اللهم دع لي في جسدي ما أذكر به نعمتك علي " قال: «فيدع له منه ما يذكر به نعمه عليه، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له، فليستغفر له». فاستغفر لي يا أويس بن عامر، فقال له: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: وأنت يغفر الله لك يا أويس بن عامر. قال: فلما سمعوا عمر قال عن النبي ﷺ، قال رجل: استغفر لي يا أويس. وقال آخر: استغفر لي يا أويس، فلما كثروا عليه انساب فذهب، فما رئي حتى الساعة)[1].

ويطلق القرآن على مرتكب الفساد في نفسه لفظ "الفاسق"، حيث جاء هذا اللفظ في عشرين موضعا تقريبا، ويبدو لي أن سبب ذلك هو أن الفاسد لفظ مشترك يدل على معان كثيرة، وأما الفاسق فهو مصطلح خاص لكل من خرج عن طاعة الله تعالى.

فـــ(الفسق في اللغة:

هو الخروج عن الشيء أو القصد، وهو الخروج عن الطاعة. والفسق: الفجور. ويقال إذا خرجت الرطبة من قشرها؛ قد فسقت الرطبة من قشرها، والفأرة عن جحرها.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٨٧/١) رقم: ٢١٢، تحقيق حسين أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٤.

والفسق في الاصطلاح:العصيان وترك أمر الله تعالى، والخروج عن طاعته، وعن طريق الحق. ورجل فاسق: أي عصى وجاوز حدود الشرع. ويقال: فسق عن أمر ربه؛ أي خرج عن طاعته.

والفسق أعم من الكفر؛ حيث إنه يشمل الكفر وما دونه من المعاصي كبائرها وصغائرها، وإذ أطلق يراد به أحياناً الكفر المخرج من الإسلام، وأحياناً يراد به الذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر؛ بحسب درجة المعصية، وحال العاصي نفسه)[1].

وقد يخرج المرء عن الطاعة خروجا كليا فيصبح كافرا أو منافقا كما قال سبحانه: (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[النور:٥٥](إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[التوبة: ٦٧] (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)[التوبة: ٨٤].

وإنما يحكم على المرء بالفسق –بالمعنى الخاص– إذا فعل كبيرة أو أصر على صغيرة، كما قال السفاريني في منظومته (ويفسق المذنب بالكبيرة كذا إذا أصر بالصغيرة

هذا من الأحكام أيضاً، وهو أمر مهم؛ لأن الناس تنازعوا فيه، فابتدعت فيه طائفتان، وسلمت الثالثة؛ المذنب إذا أذنب بكبيرة فإنه يكون فاسقاً مؤمناً؛ فيكون فاسقاً بمعصيته، مؤمناً بإيمانه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب الذي تؤيده النصوص، ويؤيده النظر والعدل؛ فالعدل أن يعامل كل إنسان بما يستحق، فلما كان هذا الرجل مؤمناً، لكنه فعل كبيرة ولم يتب منها، فهو باق على إيمانه لكنه فاسق بكبيرته)[2].

---

(١) الإيمان، لعبدالله بن عبدالحميد، ص: ٢٤٠، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) شرح العقيدة السفارينية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص: ٣٧٤، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ.

المطلب الأول: صفات الفاسق :

١-الخارج عن أمر ربه تعالى: قال سبحانه: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ..)[الكهف:٥٠].

٢-المتولى عن طاعة الله: قال جل جلاله (فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون)[آل عمران: ٨٢].

٣-المعرض عن حكمه تعالى: قال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[المائدة: ٤٧].

وإذا تولى العبد عن ربه وخرج عن أمره وأعرض فقد جمع الشر كله والعياذ بالله.

المطلب الثاني: الآثار الخطيرة للفسق:

١-أنه سبب هلاك صاحبه:قال تعالى: (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف:٣٥].

٢-يصاب صاحبه بضياع أمره ونسيان نفسه: قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[الحشر: ١٩].

٣-هم أبعد الناس عن الهداية: قال تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [المائدة:١٠٨] وقد تكررت هذه الآية في عدة سور، وقال تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)[البقرة:٢٦].

٤-هم أبعد الناس عن رضا الله تعالى:قال سبحانه(فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[التوبة:٩٦].

٥-الخزي يلاحقهم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: (وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) [الحشر: ٥].

٦-بالفسق تقسو القلوب:قال جل جلاله: (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[الحديد:١٦].

٧- الفاسق تابع لكل طاغية: قال سبحانه: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)[الزخرف:٥٤].

٨- لا تقبل شهادته:قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[الحجرات:٦]، (..وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)[النور:٤].

٩- إذا كثر الفساق في بلد إذن الله تعالى بهلاكها: قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[الإسراء: ١٦] (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [البقرة:٥٩] (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأنعام:٤٩] (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[الأعراف: ١٦٥] (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[العنكبوت: ٣٤].

فالفساد والفسق نذير شر وعلامة خطر ومقدمة هلاك وإرهاص فناء والعياذ بالله.

المبحث الرابع

المفسد

النوع الرابع الذي يبرزه القرآن الكريم في هذا الباب هو (المفسد).

والمفسد فاسق أبى إلا أن يُشرك غيره بفساده وذنوبه، فهو ناشر للفساد، قائد في الضلالة، داعية للشيطان، كما قال تعالى عنهم (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ)[القصص: ٤٢].

والفساد الكل ينفيه عن نفسه ويدعي الإصلاح؛ كما قال تعالى عنهم: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)[البقرة: ١١-١٢]، ولاحظ كيف حصروا حالهم بالإصلاح فقط (إنما نحن مصلحون).

وقد حذر الله تعالى من الإفساد في الأرض فقال سبحانه : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[الأعراف:٥٦]، (أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح في قوله: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها} قال: بعدما أصلحها الأنبياء وأصحابهم، وأخرج أبو الشيخ عن أبي بكر بن عياش أنه سئل عن قوله: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها} فقال: إن الله بعث محمدا إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمدﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض، وأخرج أبو الشيخ عن أبي سنان في قوله: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها} قال: قد أحللت حلالي وحرمت حرامي وحددت حدودي فلا تعتدوها)[1].

(١) الدر المنثور للإمام السيوطي (٤٧٧/٣)، دار الفكر ، بيروت.

وقال تعالى: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧].

وحذرنا الله تعالى من اتباع سبيل المفسدين والتشبه بهم والتمثل بأعمالهم: (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)[الأعراف: ١٤٢].

المطلب الأول : صفات المفسدين:

ذكر الله تعالى المفسدين في عدة آيات مبينا صفاتهم محذرا من خطرهم، فمن صفاتهم:

١- الكفر بالله واليوم الآخر والصد عن السبيل الله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) [النحل:٨٨]. (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[العنكبوت: ٣٦].

٢- اتباع الهوى والإعراض عن الحق: كما قال سبحانه: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ)[سورة المؤمنون:٧١].

٣- يسعون في الفساد ويوقدون الحروب:كما قال تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[المائدة:٦٤].

٤- وهم أكثر الناس مقاومة للمصلحين من الأنبياء وأتباعهم، حتى دعا عليهم الأنبياء من شدة إيذائهم: (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)[العنكبوت: ٣٠].

٥- أبعد الناس عن الإيمان، ويصفون المؤمنين بالسفه، ويدّعون الإيمان استهزاء، ويشترون الضلالة : قال سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا

يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[البقرة:١١-١٦].

٦- عدم الإيمان بالقرآن: كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾[سورة يونس:٤٠].(وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمّد ﷺ ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي)[١].

٧- إيذاء الناس بالسحر وغيره: والسحر يجمع بين الشرك وإيذاء الخلق، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١].

٨- أكل أموال الناس بالباطل: كما قال سبحانه: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ **الْمُفْسِدَ** مِنَ الْمُصْلِحِ)[البقرة: ٢٢٠]. (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ **مُفْسِدِينَ**)[هود: ٨٥].

ومن أكل أموال الناس بالباطل السرقة: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[سورة يوسف:٧٣].

٩- قتل النفس التي حرم الله:قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ **فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ** فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٣٢/٢).

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

ويلاحظ أن المفسد مدمر للدين والدنيا، لا يتوقف عن شيء ولا يرعوي عن منكر ما دام يوافق هواه.

المطلب الثاني: ذم الإفساد وخطورته:

١-شدة كره الله تعالى لهم: قال ﷻ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧].

٢-بين الله تعالى أنه لا يصلح لهم حالا: قال ﷻ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)[يونس: ٨١]، قال العلامة السعدي – رحمه الله– في تفسير هذه الآية: (وهكذا كل مفسد عمل عملا واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق، وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام)[١].

٣-المفسد يهدم الحضارات ويبيد الدول: قال ﷻ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[سورة هود:١٦٦].

٤-زيادة عذابهم في الآخرة : قال ﷻ (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ)[النحل:٨٨]، فلما جمعوا بين الكفر والصد عن سبيل الله ﷻ زادهم الله عذابا فوق العذاب بسبب إفسادهم.قال

(١) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص: ٣٧١) .

البيضاوي رحمه الله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر﴿زدناهم عذابا لصدهم﴾ فوق العذاب المستحق بكفرهم،﴿بما كانوا يفسدون﴾ بكونهم مفسدين بصدهم)[1].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للإمام البيضاوي(٢٣٧/٣)، تحقيق المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث ألخص أهم فوائده وتوصياته:

١-القرآن مليء بالكنوز والعبر ولا زال يجيش بالفوائد والأسرار.

٢-القرآن يعالج الجوانب العقدية والفكرية والسلوكية وجميع جوانب الحياة.

٣-يقسم القرآن الناس باعتبار الصلاح والإصلاح إلى أربعة أقسام : الصالح والمصلح والفاسق والمفسد.

٤-يذكر القرآن صفات كل نوع من هؤلاء بصورة واضحة وبسمات ظاهرة.

٥-يلاحظ أن أكثر الأنواع تفصيلا في القرآن بذكر صفاتهم والتحذير منهم هم المفسدون، وذلك لشدة خطرهم وعظيم شرهم.

وأوصي:

١-بتتبع ما جاء في القرآن من تقسيم الناس باعتبارات أخرى، كالأثر والقيادة والدعوة والنفع وغير ذلك.

٢-أقامة مشروع تتبناه الجامعات ومراكز البحث في الجوانب الاجتماعية والنفسية في القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام البيضاوي، تحقيق المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠٣م.
- الإيمان ، لعبدالله بن عبدالحميد، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، ط١، ٢٠٠٠م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصبهاني ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.
- الدر المنثور للإمام السيوطي ، دار الفكر ، بيروت.
- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، تحقيق عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- زاد المسير، لابن الجوزي ، تحقيق عبدالزراق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- شرح العقيدة السفارينية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ.

-صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ

-الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

-لسان العرب لابن منظور ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

-مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٤.

-معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

* * *